Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الرؤية الوجودية في رواية الخيال العلمي الموريتانية-مرجعياتها و أبعادها الدينية- قراءة في روايتي" مدينة الرياح والحب المستحيل" لموسى ولد ابنو.

The existential vision in the Mauritanian science fiction novel- its references and dimensions religious-A reading of novels The city of winds and Impossible love by Musa Ould Ibn

بوخاري نصيرة/1 boukhari nacira، مكاكي محمد/2 mekaki mehamed

1 طالبة دكتوراه، جامعة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية العامة والمقارنة

Year twoPHD ,university of Khemis Miliana,Faculty of literature and languages,Department of Arabic language and literary,laboratory of general and comparative literary and critical studies
n.boukhari@univ-dbkm.dz

2 أستاذ محاضر أ، جامعة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية العامة والمقارنة

Professor Lecturer A ,university of Khemis Miliana,Faculty of literature and languages,Department of Arabic language and literary,laboratory of general and comparative literary and critical studies
m.mekaki@univ-dbkm.dz

بوخاري نصيرة/ boukhari nacira n.boukhari@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 05 – 11 - 2023 تاريخ القبول : 02 – 04 - 2024

الملخص:

تروم هذه الدراسة الكشف عن الرؤية الوجودية في رواية الخيال العلمي الموريتانية بصفتها رؤية غائية تعبر عن مفهوم الفطرة والطبيعة الإنسانية، كما ستستنكه مرجعياتها وأبعادها الدينية المنتشرة على مدى تطور الأحداث الروائية والتي مثلت أساسا مهما لبنائها، انطلاقا من استنباط وتحليل العناصر السردية لرسم محددات ومعالم هذه الرؤية.

واشتغلنا في هذا الإطار على روايتي "مدينة الرياح والحب المستحيل" للموريتاني موسى ولد ابنو، لغناها التمثيلي فضلا عن انتمائهما لأدب الخيال العلمي الذي يعد أداة علمية وفلسفية تسمح بالقراءة الكاشفة لمستقبل الحضارة البشرية في ظل اعتماده على العلم والأدب ومعارف أخرى متنوعة.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الوجودية، الخيال العلمي، البعد الديني، الرواية الموريتانية، موسى ولد ابنو.

Abstract:

This study aims to reveal the existential vision in the Mauritanian science fiction novel as a teleological vision that expresses the concept of human nature and nature, its references will also indicate it. And its religious dimensions spread throughout the development of the narrative events, which represented an important basis for its construction.

Based on the deduction and analysis of narrative elements to draw the determinants and features of this vision.

In this context, we worked on the novels The City of Winds and The Impossible Love of the Mauritanian Moussa Ould Ibnou, for its dramatic richness, as well as its affiliation to science fiction literature, which is considered a tool. Scientific and philosophical studies that allow for a revealing reading of the future of human civilization in light of its dependence on science literature and various other knowledge

Keywords: :existential vision, science fiction, religious dimension, Mauritanian novel, Musa Ould Ibno.

مقدمة:

بين الفلسفة والأدب افتتان بدأ منذ القرون التي كانت الفلسفة فيها شعرا، واستمر هذا الحال إلى زمننا هذا، ولأن دور الفلسفة كان حمل الهواجس الإنسانية وتقديم الرؤى والحلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان ووجوده خاصة في ظل ما عرفه العالم بعد الحرب العالمية الثانية من دمار للبشرية، وطغيان للمادية التي جاءت في سياقات الرأسمالية و الحداثة والعولمة، مثل الأدب والرواية منه بالخصوص حقلا خصبا لزرع مبادئها واستنبات أفكارها، وذلك لما يمتاز به هذا الجنس الأدبي من طواعية لغوية ومحفزات تصويرية تبسط الصعب وتبقي الأثر وتيسر العسير على الفهم ، فضلا عن نسبة مقروئيته وإمكانية تجسيده مسرحيا و سنيمائيا، ولا أدل على ذلك مما فعله كل من **" كيركجارد (kierkegaard) وجان بول سارتر(Jean-Paul Sartre)** حينما جعلا من النصين الروائي والمسرحي سبيلا لتمثيل فلسفتهما[1]، ومثلت رواية الخيال العلمي أحد الأنواع الروائية التي اتخذت من العلم والأدب وسيلة لتقديم رؤى استشرافية للمستقبل، متقاطعة في ذلك بميادين كثيرة أولها وأهمها الفلسفة كونها هي الأخرى أدب تأملي تبصيري.

وبالرغم من بروز الفلسفة الوجودية بداية القرن العشرين كظاهرة ثقافية أوجدتها حالة التشيء والخراب التي أصبح عليها الإنسان نتيجة السياسات الشمولية والحروب، مؤكدة صورتها هذه وسائل الإعلام الجماهيرية، مما أوصلها إلى الأدب العربي في النصف الثاني من القرن العشرين إثر الاحتكاك الثقافي الحاصل، و الانبهار بها عبر عديد الكتابات، إلا أنها في حقيقة الأمر قديمة قدم الفلسفة نفسها، ذلك لأنها أسلوب فكري طالما انشغل بالموضوعات المهمة في حياة الناس وإن تلون بروح العصر ومشكلاته ومعتقدات الأمم على اختلافها، مبدأ هذه الفلسفة جعل أهمية وجودها لا تنقطع سواء على الصعيد الفكري أو على الصعيد الأدبي الحامل لهذا الفكر.

ومن الكتاب العرب الذين جسدوا الفلسفة الوجودية عبر إنتاجهم الأدبي الفيلسوف والكاتب الموريتاني "موسى ولد ابنو"، خاصة في روايتيه " مدينة الرياح والحب المستحيل" موضوع دراستنا، حيث اتخذ من أدب الخيال العلمي ومميزاته مطية لتصوير رؤية وجودية ذات خصوصية، من هنا جاءت رغبتنا في التعرف والكشف عن طبيعة هذه الرؤية وكذا أبعادها ومرجعياتها الدينية، وهو ما سنقف عليه في صفحات هذا البحث.

المحور الأول:الوجودية الغربية والوجودية الإسلامية:

لا يخلو تصور أي إنسان عاقل من حمل رؤية وجودية لنفسه وللكون المحيط به، ذلك لأنه كائن متسائل ومفكر بطبعه تثيره عله وجوده والغاية من هذا الوجود، والرؤية الوجودية هي" مجموعة الآراء والأفكار الكلية حول مبدأ الوجود ومنتهاه والواسطة بينهما"[2]، ومنذ الأزل تعددت العقائد والأفكار التي صاغت هذه الرؤى لدى الإنسان، لأن عالمنا كان دائم التعرض للتحولات الكبرى ومن ثم للمعضلات الكبرى، مما أدى بهذا الأخير إلى الاجتهاد الدائم لتأسيس رؤاه الوجودية حسب هذه المتغيرات.

والرؤى الوجودية ضروب متعددة ألفت فيها مئات الكتب وفي مجتمعات متنوعة الثقافة، وسنتطرق في هذا المقال إلى الرؤيتين الوجوديتين الغربية والإسلامية وذلك لأنهما الأرضية التي "استمد منها الكاتب موسى ولد ابنو نصيه الروائيين محل دراستنا.

أولا:الرؤية الوجودية الغربية:

إن الفلسفة الوجودية في الغرب وإن كانت لها جذورها القديمة منذ أفلاطون وأرسطو، إلا أنها كمذهب ظهر في العصر الحديث ارتبطت بالفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، حيث كان الفكر الألماني والفرنسي صاحبا السبق في وضع الأسس له، فمثلت ثمرة التحرير وثقافة العصر، ويعد الحديث عن رؤية وجودية غربية واضحة المعالم في حقيقة الأمر ضربا من المبالغة لأسباب متعددة، أولها أن ظهور الفلسفة الوجودية جاء نتيجة للحروب التي عرفها العالم في الفترة الحديثة وما سببته للإنسان من دمار وضياع، وعليه أصبح "الفرد بكيانه المادي الملموس"[3] المحور الذي يدور عليه هذا التفلسف، مستغنيا بذلك عن جميع عناصر الوجود الأخرى، "فالوجوديون من بين أكثر الفلاسفة المعاصرين اهتماما بمشكلة الإنسان وقد انصرفوا عن دراسة الكون وتنكروا لكل قانون علمي، مكتفين بدراسة الإنسان ووصف حريته و التحسر على مصيره"[4] فيرى **كيركجارد(Kierkegaard)** أحد أقطابها أن الفلسفة

الوجودية هي فلسفة فردية، فلسفة الذات وليس الموضوع، الأمر الثاني هو أن تنكر فلاسفة الوجودية للفلسفات الأخرى على غرار فلسفات العقل والأخلاق وغيرها، والتي رأوا أنها جافة ونظرية وليس لها صلة بواقع الإنسان جعلهم يقدمون رؤى متنوعة للذات من خلال التجارب الوجودية فأسسوا عبر التساؤل جملة من المبادئ رأوا أنها تحقق الوجود الإنساني الأصيل وانقسموا في ذلك قسمين:

قسم متدين يرى في الوجودية "إبراز شخصية الفرد في مجال الأخلاق بحيث يكون القانون داخليا ذاتيا ينبع من أعماقه وليس خارجيا مفروضا عليه...بوصفها صرخة لإنقاذ الفرد من الطغيان والسيطرة: طغيان الجماعة، وسيطرة السلطة أو التقليد الأعمى، ودعوة لكل فرد أن يكون شخصا منفردا متميزا لا مجرد فرد في قطيع حتى ولو كان قائدا للقطيع"[5] وأشهر من يمثله **كيركجارد (Kierkegaard)** الذي يعد أحد أقطاب الفكر الديني في عصره.

وقسم ملحد اتخذ من الإله وجميع المركزيات موقفا سلبيا، فارتكز فكره الفلسفي على مقولة" أسبقية الوجود على الماهية"[6] التي جاء بها **جان بول سارتر(Jean-Paul Sartre)** رائد هذا الاتجاه وتبناها بقية الأقطاب أمثال **هايدغر(Heidegger)، ألبير كامي(Albert Camus)، نتشيه(Nietzsche)** وغيرهم، ومن هذين التيارين جاءت مفاهيم الحرية والاختيار، القلق، العدم، العبث، الزمانية، هذه المفاهيم التي تساءل طبيعة الوجود الإنساني وكيفيته، أما عن المبادئ التي دعا إليها هؤلاء ودافعوا عنها فكانت:

*أهمية الحرية للذات "فالإنسان لا يكون أولا من أجل أن يكون حرا فيما بعد، فليس ثم فارق بين وجود الإنسان وكونه حرا"[7].

*التخلص من إرث الماضي وكل ما ينطوي تحت لوائه من قيم وأديان وأعراف وتقاليد.

*أولوية الذات عن الجماعة في تحقيق رغباتها.

*رفض أي قانون يحرم على الفرد التمتع بالملذات مالم يؤذ غيره.

إن الرؤية الوجودية الغربية وإن جاءت لإنصاف الإنسان وانتشاله من حالة التشيء التي فرضتها عليه الفلسفات المادية في العصر الحديث، وما نجم عنها من تقديس للحضارة الصناعية والآلة، إلا أنها في المقابل سقطت في فخ آخر وهو تأليه الإنسان والمطالبة بالحرية الكاملة له، فتطرفت برفضها للعقل والكفر بمنظومات القيم والأديان والغيبيات وكل ما له علاقة بالماضي، الأمر الذي أوجد اختلالا في ميزان الوجود بين الإنسان والطبيعة، فغياب غاية سامية يعيش لأجلها الإنسان جعله يتفاعل مع عناصر الوجود الأخرى بصورة سلبية، يسعى فيها فقط لتحقيق ملذاته وشهواته وتصور الحياة بمنظور وضعي قاصر، مما أودى به في كثير من الأحيان إلى العبثية والعدمية .

ثانيا:الرؤية الوجودية الإسلامية:

ترتكز الرؤية الوجودية الإسلامية في بناء مفهومها على الدين الإسلامي الذي قدم تصورا متكاملا للحياة، ويمثل التوحيد الذي هو" إفراد الله بالعبادة أي نعبد الله وحده لا نشرك به نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا رئيسا ولا أحد من الخلق بل تفرده وحده بالعبادة محبة وتعظيما ورغبة ورهبة"[8] جوهر هذا الدين، فهو المركز الذي تنتظم في إطاره حياة الإنسان وبقية عناصر الكون والغاية من هذا كله، وبهذا تجعل الرؤية الإسلامية الوجود قسمين:

القسم الأول(خالق): وهو الواجد لهذه الأكوان وكل ما فيها من مخلوقات " إنشاء، وتدبيرا وعناية، وإفناء وحسابا"[9].

القسم الثاني:(مخلوق): وهي المخلوقات الخاضعة لإرادة هذا الخالق ومشيئته. وهذه الرؤية" -لا فرق في ذلك بين قديمها وحديثها-هو أنها تفرق تفرقة حاسمة بين الله وخلقه، بين الفكرة المطلقة وعالم التحول والزوال، بين الحقيقة السرمدية وحوادث التاريخ، بين سكونية الكائن الدائم وديناميةالكائن المتغير، فالأول جوهر لا يتبدل والثاني عرض يظهر ويختفي، على أنها تفرقة لا تجعل الوجودين على مستوى واحد، بل تتخذ من عالم الحوادث رمزا يشير إلى عالم الخلود، فمهما تكن طبيعة الواقع والأحداث، مما يقع عليه البصر والسمع، فليست هي إلا علاقات تشير-لصاحب البصيرة النافذة- إلى الكائن الروحاني الكامن ورائها إلى مبدعها ومجريها، سواء نظرت إلى الإنسان باعتباره عالما صغيرا، أو نظرت إلى الكون باعتباره إنسانا كبيرا"[10]

ويمثل الإنسان أعظم هذه المخلوقات، كرمه خالقه بالعقل وجعله خليفة على أرضه لتحقيق القصد من وجوده، فهو القائل في التنزيل"**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**"(الذاريات-56)، وكذلك "**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة**"(البقرة-30)، من خلال عمارة هذه الأرض بالخير والنفع وفق المنهج الذي أراده الله. ولتحقيق

مهمة الخلافة سخر الله لهذا الإنسان الكون وما فيه فجاء في قوله تعالى" **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرا ممن خلقنا تفضيلا"** (الإسراء-70)، هذه الحقيقة جعلت الرؤية الوجودية الإسلامية تفصل بين الكائن الإنساني وغيره من الموجودات، فلا تضعهم في مرتبة واحدة كما هو الحال في الفلسفات المادية الغربية فهي" نظرة فريدة، تجعل الكائن الإلهي المطلق في جهة، وتجعل الأفراد الجزئية في جهة أخرى...تأبى أن ينطمس الفرد الإنساني المسؤول في عجينة واحدة مع سائر مفردات العالم الطبيعي"[11].

وقد يبدوا ظاهريا أن الرؤية الوجودية الإسلامية هي رؤية مثالية غير واقعية لارتباطها بعالم الغيب، إلا أن واقعيتها تكمن في عناصر العقل والمسؤولية ومن ثم الحرية[12] التي أعطاها الله للإنسان لتجسيد هذه الرؤية على أرض الواقع، فالإنسان وإن كان مسيرا في جوانب فإنه مخيرا في جوانب أخرى في المقابل، يستطيع من خلالها إما تحمل الأمانة وعمارة الأرض بقيم العمل والعدل الذي يهذب حرية الفرد والمجتمع وبالتالي تحقيق التمكين الحضاري بين الأمم، وإما بالزيغ عن الطريق بإتباع الظلم والشهوات وهوى النفس وطغيانها، وهذا ما جعل العالم الخالد في هذه الرؤية والمتمثل في الآخرة إما جزاء بالجنات للمؤمن الذي يسير في طريق الله وإما عقابا للكافر الذي يحيد عنه.

إن الرؤية الإسلامية باعتمادها التوحيد ناظما لسيرها يجعلها طريقا واضح المعالم للوجود الإنساني الأصيل جمعت بين مزايا الرؤى المتنوعة (فلسفية، علمية، دينية، عرفانية...) فأعلت من شأن الإنسان إذ جعلته أعظم المخلوقات سخر له الكون وما فيه ومن ثم حمل الأمانة مما جعل التفاعل بينه وبين بقية المخلوقات يسير في تناسق وانسجام للاستخلاف في الأرض، وأوجدت له عالما خالدا بعد وجوده الدنيوي حتى لا يأخذه العبث ويتشعب به، وعليه فهذه الرؤية توفر للإنسان الإجابات الكبرى لمعنى الوجود وتخلصه من متاهات الحيرة والعدمية، مما يجعل طاقاته تصب في خدمة هدف سامي هو عبادة الله عن طريق عمارة أرضه.

المحور الثاني:معالم الرؤية الوجودية في روايتي مدينة الرياح والحب المستحيل:

أولا-الرحلة الزمنية والوجودية للبطل في مدينة الرياح:

صدرت رواية مدينة الرياح للكاتب والفيلسوف الموريتاني موسى ولد إبنو في نسختها العربية سنة 1996م، وهي مزيج بين رواية الخيال العلمي والرواية التاريخية، استندت في نصها -باعتبار الرؤية الوجودية القائمة عليها-على تفاعل مجموعة نصوص (تراثية، دينية، علمية فلسفية، تاريخية...) وهو ما أدى إلى تقديم تجربة عميقة ذات صبغة جمالية، متجاوزة عالم الواقع إلى قراءة كاشفة لمستقبل البشرية ومجيبة لتطلعات الإنسان المعاصر، كما سعت لبناء وعي بمستقبلنا وذواتنا وهوياتنا.

وتجسدت الرواية في رحلة البطل الزمنية والوجودية وقد مثلتها فترات تاريخية تفصلها قرون عديدة عن بعضها البعض، صبغت كل واحدة من هذه الفترات بواقع إنساني مختلف لتأسس في الأخير رؤية وجودية استشرافية.

1-الاستلاب الوجودي وغياب الحرية:

مثلت تيمة الرحلة أهم التيمات التي بنى عليها كتاب الخيال العلمي رؤاهم الاستشرافية، متخذين من الزمن بأبعاده الثلاثة مسرحا تدور فيه أحداث هذه الرؤية، وذلك إما باسترجاع الماضي أو استشراف المستقبل أو الجمع بينهما كما هو الحال في رواية "مدينة الرياح"، التي انطلقت أحداثها من الزمن الماضي البعيد (القرن الحادي عشر ميلادي) وفيه تبدأ رحلة الإنسان ومعاناته الوجودية وقد جسدها البطل "كارا" ذلك الفتى القنقاري الذي تختطفه ذات يوم قافلة الزناتيين إحدى قبائل البربر المسلمة، كانت قد قدمت لمقايضة الملح الذي عد سلعة غالية آنذاك، حين أرسله والده ليستدين قطعة ملح مقابل أن يسدد ضعف ثمنها العام القادم، إلا أن هؤلاء أخذوه عبدا لهم ثمنا لهذه القطعة كما هو حال العبيد الذين كانوا يقايضون بالملح، ويقول "كارا" في مستهل الرواية واصفا هذه الحادثة" إن أبي أفارا مول، يطلب منكم أن تسلفوه شيئا من الملح على أن يكون القضاء مضاعفا في الموسم القادم...لم يحب الرجل ظننته أصم...لكنه أخذ لوحا كبيرا من الملح ووضعه عند قدمي. فزعت، إنهم عندما يشترون عبدا، يقيسون موطئ قدميه على صفيحة الملح، ويحزونه بالمنشار...يكون ذلك هو ثمن العبد...سحبني من جناحي باتجاه الزريبة استطعت بصعوبة أن أتملص من يده القوية...أطلق الزناتي صيحة خيل إلي أنها صاعقة ...تقاطر علي إثرها رجال القافلة إثري...أحاطوا بي، ووضعوا في عنقي حبلا...ألقوا بي في الزريبة ضمن ثلة العبيد

المشتراة حديثا، وأنا مكتوف اليدين والرجلين، أتألم من أشياء كثيرة."[13]

يمثل هذا الحدث نقطة الانطلاق لرحلة كارا ليخوض بعدها في تفاصيلها التي تجعل من الأمكنة والمشاهد والأحداث معالم لتصوير حالة الاستيلاب وغياب الحرية التي كان يعيشها العبيد، فيصف وضعه الجديد مع العبيد في القافلة قائلا: "وضعوا الحبال في أعناقنا، كما يضعون الزمام في خطام الجمل الكبير...ثم ربطوا كل واحد منا إلى مؤخرة جمل كهل... ركب الرجال المسنون الرحال وصفت الجمال وبينها العبيد.كانت خطواتي وأنا أتبع الجمل الذي يقودني ترتبك..أتعثر، أسقط...يجرني الجمل أحس الحشائش الشائكة، تخدشني على صدري وبطني، وفخذي. سقطتي الأولى كانت بسبب بول الجمل...لم أكن أعرف أن الجمل يضخ بوله إلى الخلف"[14]يتابع في مقاطع مختلفة" مازالت مكتوفا، جيوش البعوض النهمة تستوطن الأضاة تغطي جسمي بكثافة، لكن الإعياء خدرني. ومباشرة بعد تعريس القافلة رحت في نوم عميق...أيقظني سيدي برفسات متتالية، لم أدرك كم من الوقت وهو يرفسني...لرفع الأحمال على الجمال...ينصرف المنصرفون منهم إلى الغناء والأحلام والتدخين، ونبقى نحن العبيد الجدد في عذابنا السرمدي، وتبقى الطبيعة من حولنا خلابة...وبعد أيام من الرعاية الجيدة، جاءوا بي إلى ساحة النخاسة، معرض العبيد التجاري، كنت معروضا في جناح العبيد، قبالتنا تماما جناح الأسلحة ...على يسارنا معرض الإيماء شبه عرايا "[15].

عبر الكاتب من خلال هذه الأحداث وأخرى على لسان بطله "كارا" عن ظاهرة الرق التي كانت موجودة في ذلك الزمن وقبله بكثير، فأظهر كيف أن العبد يصبح في درجة الحيوان، سلعة تباع وتشترى يتصرف فيها مالكها كيفما يشاء، ويتبين من خلال المشاهد التي يصفها "كارا" أن الرق وجد عند أغلب المجتمعات القديمة، "فهو ظاهرة تاريخية ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية"[16]،وعرفه الفقهاء في الإسلام بأنه" عجز حكمي يصيب من يقع أسيرا في حرب مشروعة"[17]، ورغم أن تعاليم الدين الإسلامي حاولت تجفيف منابعه من خلال تحديده بالتعريف السابق وعن طريق تشريع العتق ككفارة لكثير من المخالفات الشرعية بهدف اجتثاث الظاهرة إلا أن تجارته زادت بعد الفتوحات الإسلامية، أين استعادت الثقافة العربية الظاهرة فتعاظمت خاصة ما تعلق بإفريقيا التي كانت مصدرا للعبيد، وإذا كان العبد يسوى بسيده المسلم في العبادات والشعائر الدينية فإنه في المجتمعات الوثنية يعامل كنجاسة حتى بعد موته وهو ما يرويه "كارا "عن سيد إحدى القبائل الوثنية بعد دفنهم لأحد عبيد قافلتهم في مقابر الأحرار:" إنها جريمة أن يدفن العبد إلى جانب الحر، وإهانة للحر أن يدفن إلى جانبه العبد...إن للعبيد حياتهم الخاصة، ومقابرهم الخاصة كذلك"[18].

وفي طريق الرحلة وتزاوجا مع هذه الأحداث التي يعيشها البطل والواصفة لحال العبودية التي أصبح عليها مع الكثيرين غيره، يظهر المكان بعبقريته التي مثلتها المجابات الكبرى أو صحراء موريتانيا الشاسعة حافزا آخر جعل البطل "في مواجهة مع نفسه ومع الكون"[19] متأملا حقيقة هذا الوجود وكأن كل شئ فيه يحركه ليفكر في حاله ومصيره، فكيف لهذا المخلوق الضعيف(الإنسان) أن يتغطرس أمام هذا الكون الهائل، هذا الأمر جعل توقه إلى الحرية يزيد فهي القيمة التي يخلق بها الإنسان" فالحرية ليست نتيجة ولا نتاجا للتطور"[20]فكانت تراوده طوال الرحلة إما أمنية وإما حقيقة من خلال المحاولات العديدة الخائبة التي بدأت منذ المرة الأولى التي هرب فيها من رجال القافلة، واستمرت حتى وصوله لأوداغوست أين أصبح عبدا مسلما في دار سيده يتقن تعاليم الدين الإسلامي، فاستعانت به حينها صديقته "فالة" للتحضير لثورة العبيد كون الدين الإسلامي يدعم قضيتهم، فكان أكثر المتحمسين لذلك ويقول في هذا الصدد" بالنسبة لي كل تاجر عبيد إماء أو ذكور، هو عدو حتى ولو طبق الفتاوي الفقهية...مرة أخرى السألة مسألة حق طبيعي، لابد أن نلغي واقعنا الحاضر، إذا أردنا أن نثبت أنفسنا ونبرهن على أننا رجال أحرار"[21]،وبالرغم من فشل ثورة العبيد وعودة "كارا" مرة أخرى لنظام القوافل إلا أن حالة الاستلاب التي كان يعيشها والتي يصفها في قوله" فقدت هويتي من طول التيه في هذا المحيط؛ لم أعد أعرف من أنا: هل أنا الشاب القنقاري الوثني الذي كان يعيش بسعادة في بلاد الذهب؟ أم أني العبد المسلم الذي يقطع المجابات الكبرى لا أدري إلى أين؟ أم أنا ذلك الكائن المسكون بعناصر كونية غريبة على الأرض والذي يهيم بأكوان أخرى؟ قد لا أكون واحدا منهم بل الثلاثة معا..."[22]وهاجس الحرية ورغبته في العيش في عالم أفضل لم يفارقاه، فظل يتحين فرصة الهروب متذكرا قول أبي الهامة" إنكم بشر مثل الذين يذكرون أنهم أسيادكم، قد تكونون

أفضل منهم، لأن الذنب أزرى بهم..إن الشر يخزي الإنسان، تحرروا...إذا كنت رافضا للقدر، فاعتزل البشر وانفرد في الصحراء وانتظر أمر ربك"[23] وهو الأمر الذي فعله عندما سمحت له الفرصة حيث فر إلى الجبل مستسلما لقدر الله بعدما يئس من عالم البشر الظالم.

2-البحث عن عالم أفضل:

استند الكاتب في بناء رؤيته الوجودية إضافة إلى النصوص المتنوعة على النص القرآني الذي مثل أهم هذه النصوص،من خلال تكوين عالم جديد يحاكي عوالم القصص القرآني التي حسبه "تتجلى فيها كل الحقيقة الإنسانية وكل تحديات الحاضر"،[24] فمثلت لحظة هروب"كارا" إلى الجبل وقيامه بالتبتل انتظارا لأمر ربه محاكاة لقصة أصحاب الكهف الذين هربوا بدينهم من بطش ملكهم الظالم، أما الخضير فهو ملك الزمن الذي كان ينقله من فترة زمنية إلى أخرى كما يصف ذلك قائلا "اسمي الخضير...أنا ملك الزمن، آية الله الذي كنت تنتظر، أنت ثائر على سنة البشر، لكنك لن تستطيع أن تتخلص من بشريتك...وبما أن الله ألهمني أن أساعدك، سأعطيك فرصة السفر في المستقبل."[25]

شكلت هذه الحادثة (هروب كارا للجبل) وصلة الانتقال من الفترة الزمنية الماضية (ق11م) إلى الفترة الحديثة(ق20م)، وقد قدمها الكاتب بشخصيات رئيسية جديدة إضافة إلى البطل كارا، في حين بقي الفضاء الموريتاني بجغرافيته مسرحا لأحداثها.

جاءت شخصية "قوستباستر" المرتكز الذي صور لنا الكاتب من خلاله تغيرات العالم الجديد، فهو الباحث الأثري والوجه الأوربي الحديث الذي قدم في بعثة أثرية لاستكشاف أطلال" أوداغوست" مدينة الأطلال المفقودة والموجودة آثارها حاليا بموريتانيا، وتكشف أسماء أدوات البحث الأثري كما يذكرها أحد مرافقي كارا في قوله" أدوات البحث والتنقيب الأركيولوجي: معاول وعربات يد، مجارف، آلات تصوير، مقاييس، أدوات رسم، خرائط طبوغرافية..."[26] عن درجة التقدم العلمي الذي بلغه العالم آنذاك والغربي منه بالخصوص، في المقابل تظهر صور الاستغلال والعبودية كما يصفها الراوي في قوله" إلى أي حقبة بعثتني أيها الخضير؟ في الحقبة الأولى كنا على الأقل أحرار في أرضنا أسيادا وعبيد...ما هنا فضيع، إنها فترة مرعبة، ملأى بالظلم ومن البشر الشريرين، النصران كثر أولاده، إنهم الآن بالمئات يقودون الجيوش من القناصة و البرتزان، آتون من كل الجهات غزاة، يريدون استعباد البلد بأكمله، حتى الأسياد صاروا عبيدا لهم، خضعوا لأبشع أشكال العبودية، صاروا عبيد أنصار"[27] أن هذا التقدم لم يغير من شقاء الإنسان شيئا بل زاد في بؤسه ودماره، فمثلت هذه الأبحاث أحد أدوات الاستعمار الحديث، حيث عدت سبيلا لمعرفة تاريخ الشعوب المستعمرة وبالتالي سهلت عملية احتلالها ناهيك عن الاستفادة من تحفها وكنوزها.

وقد أقحم الكاتب هذه الجزئية من التاريخ ليبين من خلالها الصورة الحديثة لاستغلال الإنسان وتعذيبه، فعن طريق الاستعمار الحديث انتهكت الشعوب وسلبت حرياتها وتجسد الاستعباد بأبشع الصور، فأصبح قانون الغاب ساريا على بني البشر كذلك.

"فالة" عشيقة "قوستباستر" والتي تشترك بنفس الاسم مع "فالة" صديقة "كارا" في المرحلة السابقة وصاحبة فكرة ثورة العبيد تظهر في دور مختلف هذه المرة ينحصر في تحقيق المتعة " لقوستباستر"، و ترمز صورة فالة هاته من غير كونها امرأة إلى صور أخرى قد يكون الوطن إحداها، هذا الرمز الذي طالما استعمله الشعراء والكتاب في العصر الحديث لوصف حالة الاغتصاب التي تعرضت لها أوطانهم، ويؤكد هذا الكلام مذكرات "قوستباستر" عن"فالة" التي يحكي فيها قصتها بالتدقيق مصورا من خلال ذلك المجتمع الموريتاني وقد تكلم فيه عن مكانة المرأة، ظاهرة العبيد، الحروب، تقسيمات المجتمع فمثلت دليل إحاطة المستعمر بكل تفاصيل مستعمراته.

في خضم هذه الأحداث يظهر "كارا" بطل الرواية ضائعا في العالم الجديد الذي هرب إليه ،لايتذكر هويته إلا بعد مضي فترة من الرحلة،أين تتبدى له معالم الوجود الجديد، فرغم وجود القوافل إلا أنه ليس عبدا وإنما شخصا غريبا وجد على جبل فأنقذته فرقة بحث أثري وضمته إلى قافلتها، بالنسبة له الوضع لم يتغير كثيرا المجابات الكبرى على حالها وهو لا يمكنه التحرر خاصة بعد أن سمعه أحد رجال القافلة يهذي بأوداغوست واصفا أسواقها ومعالمها، الأمر الذي جعل "قوستباستر" يهتم به ويشدد الرقابة عليه خاصة عند نومه أين استعمل معه كل طرق التنويم المغناطيسي ليزوده بالمعلومات التي يبحث عنها.

هذا الوضع الجديد جعله في قلق دائم، قلق وجودي حول ماهيته وما الذي يفعله في هذا الزمن فيراوده حلم الهروب مرة، وينقض عليه اليأس مرات، يعيش تجاذبات الحقيقة التي تأتيه في حلمه فتعرفه من هو لتغيب عنه بعد ذلك عند صحوه.

دفعت حالة الضياع واليأس التي كان يعيشها كارا بسبب وضع الإنسان الأسوء الذي اكتشفه خلال هذه التجربة إلى قراره بمساعدة "قوستباستر" وذلك بمنحه المعلومات التي يبحث عنها،أملا أن تأتيه الفرصة مرة أخرى وينقله الخضير من هذا الزمن إلى مستقبل قد يجد فيه عالم أفضل للبشر، فواصل رحلة "تجقجة" مع قوستباستر الذي كان سعيدا بالمعلومات التي حصل عليها لكنهم وجدوها "قد تحولت إلى متحف للفظائع، الجثث المحترقة معلقة من أعناقها بحبال قصيرة في جذوع النخل تتأرجح في ألسنة النيران المستعرة تحتها ...تصلب قوستباستر، تجمد الدم في جسمه...على سطح احدى الدور كانت ثمة عجوز تنشج تولول.نحن لم نشارك فيما جرى، لقد شنقتم وحرقتم أبرياء كثيرين، وأطلقتم السيبة في مدينتنا. قناصتكم وبرتزانكم اغتصبوا نساءنا وعاثوا فسادا"[28].

زادت حالة الحرب والدمار والقتل التي شهدها كارا بين أصحاب الأرض والمستعمرين من يأسه وجعلته يتأكد من طبع الظلم والطغيان في الإنسان وعبثية هذه الحياة، فأصبح مهيأ أكثر من أي وقت لمرحلة الانعزال بالجبل وانتظار أمر الله خاصة وأن هذا الأمر كان يأتيه كل يوم في منامه، لينفذه عند أول فرصة أتيحت له بعد هجوم المقاومين على البعثة في طريقهم إلى تشيت.

3-المستقبل البعيد وخيبة المحطة الأخيرة:

تعكس لنا هذه المرحلة هاجس الكاتب حول مستقبل البشرية في ظل طغيان التقانة وجهالة الإنسان، وإذا كان" الاهتمام باستطلاع المستقبل لم يغب مطلقا عن ذهن قدماء الفلاسفة والمؤرخين والأنبياء، بما فيها ظواهر العرافة والكهانة والتنجيم التي تميزت بها الحضارات القديمة في مصر وبابل واليونان والهند والتي تدل على الاهتمام المبكر بمحاولة استطلاع المستقبل وفهم مساواته"[29] فإن " المستقبليون "les futurologues" يتنبأون بمد قوى للعلوم المخبرية التجريبية التي جاءت بالحروب العالمية وبأسلحة الدمار الشامل وبأنواع الأوبئة، والتي جاءت كركيزة للفاشية والنازية ونظام العالم الواحد"[30]

فيصور لنا بطله "كارا" وقد نقله الخضير ملك الزمن بنفس الطريقة السابقة إلى المستقبل البعيد هذه المرة"2045م" آملا أن يجد عالما أفضل لكنه يتفاجأ بعالم أبشع من المراحل السابقة، تحولت فيه المجابات الكبرى إلى مراكز لتخزين النفايات السامة والمواد الخطيرة والمشعة في جمهورية المنكب البرزخي وأصبح أحفاده عمالا في هذه المخازن" كنت دائما أعرف أحفادي عندما ألقاهم، أعرفهم من نظراتهم...في وضعيات مختلفة مدنيين وعسكريين، أغنياء وفقراء، أسيادا وعبيدا، خيرين وشريرين، وسيمين وقبيحين بيضا وسودا لكنهم جميعا كانت في أعينهم تلك النظرة التي لا تكذب وتسمح لي أن أميزهم من الآخرين."[31] ويتولى "تنقل معطل" أحد هؤلاء الأحفاد رئاسة هذه الجمهورية ويعد المساهم الأول في وضعها هذا من خلال اتفاقياته مع الشركات الدولية لمعالجة النفايات السامة والمواد الخطيرة.

أما عن صور الحياة في هذا الزمن فيصفها "كارا" في محطات ديستيوبية مختلفة، أولها نظام العمل في المخازن الذي أرغم على أن يكون أحد أفراده حال نزوله من الجبل، ويشبه تلك المخازن في قوتها ومتانتها بسد ذي القرنين، بينما يصف حال العمال الذين كان يراهم في الحلم أحفاده وفي اليقظة زملائه بقوله" العمال الذين كانوا يخرجون من غرف التطهير لأخذ السكة الهوائية كانوا يختلفون تماما عن الكائنات الغريبة التي دخلتها، الأقنعة الواقية والقفازات والأحذية العالية سقطت..وبزات العمل الثقيلة البيضاء حلت محلها دراريع خضر فضفاضة، مزينة بالكثير من التطريز..الوجوه العارية تعبر عن جميع آلام البشر..لونها الذي بيضته الأقنعة احتفظ ببقية من نحاسيته..الكثير منها كان شاحبا ومتغضنا، كالأوجه التي تصادفها في أجنحة السرطان في المستشفيات.. النظرات تعكس الاستسلام للألم والموت."[32]، وإذا كان يعيش تعيسا وهو مجهول الهوية في يقظته فإن حقيقته كانت تظهر له جليا في الحلم وهناك يزداد عذابه فيتوسل الخضير بكل التوسلات حتى ينقذه من هذا الزمن الأكثر بؤسا وشرا.

إضافة إلى كارا كان هناك أيضا من يرفض ذلك الوضع الذي أصبحت عليه المجابات الكبرى، ويتعلق الأمر" بإنماد" زميل كارا في مراكز التخزين وأحد أفراد قبائل إنماد الذي

يقول عنهم" نعم إنماد، صيادو المها القدماء.. هؤلاء الذين يتكلم عنهم الفيديو.كنا أسيا المجابات الكبرى، نعيش بحرية في هذه المساحات السحرية القاسية..كنا رفضنا التقنية وعالمها لكي نحمي أرضنا" [33]و يصفها الراوي بقوله:"هذه المنطقة من أكثر مناطق العالم جفافا...جمالها سحري، و لكن ليس فيها مجال للحياة حيوان المها هو الأكثر تأقلما..هنا استطاع انماد أن يؤسسوا حضارة قائمة على صيد المها والغزلان."[34]، وهو نفس الشخص الذي ساعد "كارا" في هروبه من مراكز التخزين بإرساله إلى فالة إضافة إلى سليما الكائن الفضائي الذي كان في رحلة للبحث عن الناس الخيرة وقد وجدته في النادي تكاد تصمه الموسيقى الصاخبة فسحبته من تلك الأجواء لتقرر بعدها تسليمه بدلة تخفيه عن الأنظار أثناء هروبه.

بعد وصول كارا إلى فالة التي كانت تسكن في ضاحية معزولة بمدينة الرياح في بيت مليئ بالنباتات والحيوانات لشغفها الكبير بالطبيعة، وجد أن الوضع لم يتغير كثيرا، بل هو أسوء حالا، فيقول عن مدينة الرياح التي كلمته فالة عنها كثيرا"بغضها لمدينة الرياح جعلني أكرهها بالعدوى أصبحت أعرف هذه المدينة بشكل دقيق لكثرة وصفها لي... أتصورها مجللة بالغبار المشع بالإشعاعات النووية...غبار يعطي لنهارات المدينة لونا أشهب، لون الفاقة والكآبة والاضمحلال...ليس للمدينة مخطط عمراني؛ يقررون أرضها على قدر حالهم، يبنون أكواخا أو قصورا، يتنافسون في سوء الذوق..أكوام القمامات المحيطة بالمدينة تحفظها من ابتلاع الرمال..و طرقاتها المغبرة تسدها القمامات والحيوانات السائبة: المعز، الحمير، البقر، الإبل، الكلاب والقطط تموت مسمومة من النفايات التي تعيش عليها..تبقى الجيفة مكانها تتنفخ ثم تنفجر وتتحلل..روائحها، كانت دائما تقارن مدينة الرياح بجرح سائل بالصديد."[35]

تظهر فالة في هذه المرحلة كشخصية جديدة تختلف عن الشخصيتين السابقتين، تشترك مع كارا في يأسها من ذلك المحيط المسمى "مدينة الرياح"، كما يجمعهما الخوف من زيادة الأوضاع سوء بعد أن أصبحت الأرض كما تصفها" صورة أرضنا اليوم في عالم سكرات الموت... لن تستمر الحياة مع التلوث الكيميائي والنووي، مع التصحر و التضخم السكاني والنقص في المياه والأغذية...سيصبح كوكبنا مرجل الشيطان"[36] لذا يقرران المقاومة بإسقاط الشاحنات الناقلة للنفايات السامة بمساعدة كلاب فالة المدربة، لكن تبوء محاولاتهما بالفشل فيمسك بهما، تتحايل فالة على "تنقل" وتتزوج به أما كارا فيحكم عليه بالموت عطشا على رأس جبل الغلاوية.

إن النهاية التي رسمها الكاتب لرحلة بطله تمثل نذيرا لطغيان التقنية التي غزت زماننا وجهالة الإنسان التي هي طبيعة هذا المخلوق.

ثانيا:الوجود الإنساني في عالم الحب المستحيل:

في روايته الثانية "الحب المستحيل" الصادرة بالعربية سنة 1999م عن دار الآداب، يقدم لنا الكاتب "موسى ولد ابنو" من زاوية أخرى رؤيته للوجود الإنساني في المستقبل، وذلك من خلال طرحه لموضوع فصل الجنسين (المرأة والرجل) عن بعضهما وإقامة مجتمعين مختلفين، وقد حدث هذا التغيير الاجتماعي نتيجة للتطور التكنولوجي والعبث اللاإنساني بالعلم وتبني الفكر المادي، فحاول الكاتب عن طريق أدب الخيال العلمي الذي وظف فيه مهارات سردية وروحا علمية "أن يعمق الشعور بالنمو التكنولوجي وعواقب هذا النمو، كما استطاع أن يحذرنا بفوائد وأضرار تغيير النظم الاجتماعية، حسب أساليب مختلفة وجعلنا أكثر إحساسا بأن قيمنا نسبية، ويساعدنا على معرفة الأبعاد الخلقية والقانونية والسياسية للمشاكل الاجتماعية "[37].

1-مسخ الفطرة الإنسانية وتفكيك المجتمع:

بدأت الرواية بوصفها لمجتمع مستقبلي غيرت التقنية نواميس وجوده، حيث" لم يعد الأطفال... يحتاجون لأم ولا أب كي يولدوا، فتكاثر الجنس البشري أصبح موكولا إلى التقنيات الحديثة"[38]، كما "أصبح بإمكان كل شخص أن ينتقي جنس مولوده. التحليل الصبغي هو الطريقة المثلى لتحديد هوية الجنين."[39]

ورغم أن الإنسان المستقبلي أضحى متحكما في كثير من الظواهر التي كانت توكل في الماضي للإله أو العرف إلا أنه لم يستطع السيطرة على بعض التحديات التي كانت تعترضه، خاصة تلك المتعلقة بفطرته وطبيعته الإنسانية، فظهرت مشكلة التوازن بين الذكور والإناث بما أن أغلب الأزواج كانوا يفضلون الذكور، هذا الأمر جعل الحركة النسوية تطالب بتوزيع عادل للأجنة،"فكان رسم الانتساب لمنظمات الدفاع عن التخصيب الأنثوي يتمثل في الذهاب إلى مراكز التخصيب الأنبوبي وزراعة جنين أنثوي في رحم المنتسبة مما جعل كل

المنتسبات حوامل"[40] لينتهي الأمر باختلال التوازن بين الذكور والإناث من جديد.

دخل كل من الجنسين في حرب مدمرة استمرت لمدة طويلة، ليتم بعدها إعادة تنظيم العلاقات بينهما بوضع قواعد جديدة للإنجاب وأعيد بذلك" توازن الجنسين وأعلنت حقوق الرجل والمرأة وألغيت الأسرة وحرم اختلاط الجنسين، ووضعت ضوابط جديدة تحدد طرق تعايش الجميع في مجتمعين منفصلين لكل حقوقه وواجباته"[41]، ويصف الكاتب حالة المجتمعين الجديدين بقوله" عهد بإنجاب الذكور للرجال والإناث للنساء، لكل حصته السنوية من الولادات على أن يتم تشكيل فرق مختلطة تشرف على مراكز الإنجاب، واستحدث إطار للخدمة المختلطة من أجل الحفاظ على تماسك المجتمعين وضمان السلام. بموجب هذه الخدمة المختلطة أصبح لزاما على كل امرأة أو رجل في سن البلوغ خدمة سنتين في مجموعات مختلطة من الرجال والنساء المجندين لتلك الخدمة. تقوم هذه الخدمة على الاشتراك في الحياة الجنسية والتسلية والعمل مع المجندين من الجنس الآخر، يخضع كل مجند لامتحان كفاءة قبل استدعائه، الرجال والنساء الأكفاء هم الذين بمقدورهم القيام بحياة جنسية مع العنصر الآخر. الذين يرفضون هذه الحياة الجنسية المختلطة يمثلون أمام المحاكم ويحكم عليهم بعقوبات قاسية."[42]

بعد هذه الأحداث يظهر البطلين بصفتهما أحد أجيال هذين المجتمعين، "آدم" الذي أنجبه والده من مركز إنجاب صناعي و"مانكي" التي غامرت أمها بإنجابها من رجل مجهول أثناء الخدة المختلطة. ويمثل لقائهما في الخدمة المختلطة وإصابتهما بداء الحب ثم اكتشافهما من قبل المسؤولين هناك مركز القضية الوجودية في علاقة الرجل بالمرأة التي طرحها الكاتب.

إن المتتبع للمسار السردي للرواية يتبين له أن تفكك المجتمع المستقبلي وتمسخ فطرة البشر جاء نتيجة لمقدمات عديدة انطلق فيها الكاتب من قضايا الواقع إضافة إلى استناد تصوره على مرجعيته الدينية التي أشارت أهم مصادرها (الكتاب والسنة) إلى فتن آخر الزمان، فمثلت عملية إيكال تكاثر البشر إلى التقنيات الحديثة بعدما كانت متعلقة بالذكر والأنثى كما جاء في القرآن" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" (سورة الحجرات-الآية13) نتيجة حتمية للفلسفة المادية التي غلبت الجانب الطبيعي للبشر على جانبهم الإنساني "فالإنسان هنا هو موجود مادي متجسد يشارك بقية الكائنات في بعض الصفات، فمن حيث هو جسم، يخضع الإنسان للقوانين الطبيعية وضرورات الحياة العضوية إذ تسري عليه وعلى بقية الكائنات، مجموعة من الآليات والحتميات."[43]، وليس هناك شك أن أهم آثار هذه الفلسفة هي الثورة العلمية والتكنولوجية التي عرفها الغرب منذ بدايات القرن 15م أين كفر بالفكر الكنسي الغيبي مستبدلا إياه بيقينيات العلم التجريبي.

أما هدم الأسرة وظهور مجتمعين مختلفين في الرواية فكان إذعان بنهاية المجتمع التقليدي. وبصفتها (الأسرة)"حاضنة العلاقات الرومانسية والشخصية الحميمية."[44] فهي كما يقول انجلز" منذ تاريخها البدائي في الزمن القديم وهي آخذة في التقلص التدريجي عن طريق التضييق المستمر لدائرتها. فقد كانت هذه الدائرة تحتوي في الأصل على القبيلة بأسرها، وفي إطارها كان للجنسين علاقات زواجية، ثم بدت عملية الاستبعاد تأخذ مجراها، فذهب من الأقارب أبعدهم أولا ثم ذهب أدناهم فأدناهم..حتى الأقارب بالزواج ..وتصل الدائرة في ضيقها بحيث يصبح الاجتماع في علاقة زواجية مستحيلا من الناحية العملية ..وفي الختام لايبقى سوى الفرد وحده مع علاقة سائبة بالجنس الآخر..وبهذا الانحلال يتوقف الزواج"[45] في حين رأت رائدة الحركة النسوية في العالم سيمون دي بوفوار أن المرأة"ستظل مستعبدة حتى يتم القضاء على خرافة الأسرة وخرافة الأمومة والغريزة الأبوية"[46]، وتكريسا للوجود المادي بقي العمل الاقتصادي الرابط الأساسي بين هذين المجتمعين حيث "لم يغير تقاسمهما للعمل، فالتكامل الاقتصادي مازال قائما بين الرجال والنساء. إذا كان الرجال يحتكرون بناء وتسيير المحطات النووية، فالنساء ما زلن يسيطرن على المعلوماتية التي تشكل جزءا هاما من النشاط الاقتصادي. هذا التكامل هو الذي أرغم الجنسين على تنظيم تعايشهما لضمان المصلحة المشتركة"[47]

2-تأله الإنسان وخيانة الأمانة:

عدت علاقة الحب التي نشأت بين آدم ومانكي في مركز الخدمة المختلطة جرما كبيرا بالنسبة للمسؤولين هناك يستحق أقصى درجات العقوبة، فتم أخذ كل منهما إلى مراكز إعادة التأهيل الجنسي المخصصة للرجال وللنساء، وفيها

يصور لنا الكاتب مراحل العقاب التي كانت تطبق عليهما ليتوبا عن فعلتهما مستغلين في ذلك كل التقنيات الحديثة فيقول على لسان آدم" توصلت إذن إلى اجتياز المرحلة الأولى دون أن أصاب بالجنون، دون أن أفقد روحي."[48] أما مانكي فيصف الراوي وضعها قائلا "لقد تعرضت في مركز إعادة التأهيل للعذاب الشديد، حتى إنها بدأت تتساءل هل سيكون مصيرها الجنون إلى الأبد."[49].

ولأن الكتابة الروائية تتشكل بتفاعل نصوص مختلفة جاعلة من انصهارها مصدرا لتوليد المعاني والصور الجمالية بما يخدم رؤية النص، استلهم الكاتب قصة بطليه من قصة آدم وحواء في نسختها الإسلامية لكن برؤية مغايرة، فنزول آدم وحواء إلى الأرض بعدما عصوا ربهما وتغير حياتهما من نعيم الجنة على شقاء الدنيا يتكرر في المستقبل أين ينتقل البشر "من الكوكب الأرضي الذي يكون قد دمره مجتمع التقانة"[50]، ويظهر وجه الاختلاف في أن نزول آدم وحواء إلى الأرض وذريتهما من بعدهما بعد توبة الله عليهما جاء لغاية عبادة الله عن طريق عمارة الأرض بالخير والنفع، في حين تظهر الرواية أن الإنسان المستقبلي قد انحرف عن هذا المسار متجاوزا القيم الكلية والمرجعيات الاعتقادية جاعلا من "الوجود المادي المحض والمصالح النفعية المباشرة للإنسان أو تلك النزعات الإنسانية المفرطة في حد ذاتها مرجعية نهائية دونما حاجة لأي مرجعية مطلقة"[51].

هذا الأمر دفع المجتمع المستقبلي لمحاربة كل المظاهر التي تمت بصلة إلى المعتقدات والرؤى القديمة كمؤسسة الأسرة وعلاقات الزواج بين الرجل والمرأة وتعاونهما في بناء المجتمعات وغيرها، وإذا كان افتراق آدم وحواء ونزولهما الأرض جاء بعد معصية الله والاستجابة لغواية إبليس فإن آدم ومانكي عوقبا بسبب معصيتهما للإنسان والاستجابة لفطرتهما.

3- آدم وحواء والنفس الواحدة:

أظهرت الرواية تنوع أساليب وأدوات التعذيب التي كانت تستعمل في مراكز إعادة التأهيل وتعدد مراحلها، وتندرج جميعها ضمن دلالة واحدة هي القضاء على فطرة الإنسان ومشاعره والإذعان للآلة والتقنية وترجيح عالم الأشياء في المجتمعات، فمثلتها عمليات غسل الدماغ لمسح ذكرى الحبيب وكذلك البرامج المتدفقة والمصممة خصيصا لتحرر مشاهدها من وهم الحب معروضة عبر شاشات غرفة السجين ليل نهار حتى يصل لدرجة الجنون، لتأتي بعدها مرحلة أخرى تجري فيها " بعض التجارب على الهرمونات الجنسية وتأثيرها على العناصر البيولوجية وعناصر الشهوة. "تستخدم النساء في هذه التجارب كفئران المخابر"[52]، يرافق هذا كله إجبار السجينات على ممارسة عادة السحاق والسجناء على عادة اللواط،"وتوجد في مراكز إعادة التأهيل بيوتات تدعى نقاط التلاقي خصصت لهذا الغرض صمموها كبارات للمواعيد يتلاقى فيها الرجال في جو يثير الشهوة. كان لزاما على جميع نزلاء مركز إعادة التأهيل ان يتواجدوا يوميا ابتداء من الخامسة مساء، متزاحمين في تلك البيوتات الضيقة، يتبادلون الأحاديث في جو خانق، يتصببون عرقا في ذلك الجو المشبع بروائح السجائر وروائح الكحول والجسوم. يتغامزون، يستهوون ويتغاوون.لا يجوز لأي منهم أن يغادر البار إلا مع رفيقا لليلته"[53].

مقابل هذا كله يصور لنا الكاتب استمرار تعلق البطلين بظاهرة الحب، فرغم ما كابداه خلال هذه الرحلة إلا أنهما لم يستطيعا نسيان ذلك الشعور، وإن بدت مانكي أقل شجاعة بعدما "قررت...بناء خطتها للخروج من إعادة التأهيل...فصممت أن تتصنع التوبة وأن تثبت أن الحب لم يعد له سلطان عليها إنها لم تعد تعتقد فيه"[54]، فإن آدم "قرر أن يري الرجال طريق الحق، أن يعلمهم الحب، بيد أنه يجب استعمال الحيطة لأن مركز إعادة التأهيل هو مملكة الشر. في هذا العالم يبدو الخير شذوذا، لذا يكون لزاما على كل مبادرة خيرية أن تبدأ بالكتمان"[55]، تؤكد هذه الأحداث أن "هناك جانبا آخر للطبيعة البشرية متجاوزا للطبيعة/المادة وغير خاضع لقوانينها ومقصورا على عالم الإنسان ومرتبطا بإنسانيته، وهو يعبر عن نفسه من خلال مظاهر عديدة من بينها نشاط الإنسان الحضاري (الاجتماع الإنساني-الحس الخلقي-الحس الجمالي-الحس الديني).ومن المظاهر الأخرى لهذا الجانب ان الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يطرح تساؤلات عما يسمى العلل الأولى وهو لا يكتفي أبدا بما هو كائن وبما هو معطى ولا يرضى بسطح الأشياء ،فهو دائب النظر والتدبر والبحث."[56]

إن المصير الذي قرره البطل آدم بعد اكتشاف أمر ثورته وتعذيبه والمتمثل في تحوله إلى امرأة ليعيش في مجتمع محبوبته مانكي هو تأصيل لرؤية الكاتب الوجودية في طابعها الإسلامي والتي يبين من خلالها أن النفس البشرية واحدة،

فإذا كان آدم قد استوحش وهو في الجنة ولم يأنس حتى خلق الله له حواء من ضلعه فلا يمكن للإنسان وإن تأله وبلغ من العلم مبلغا أن يفكك هذه النفس الواحدة ويغير نواميس الوجود.

خاتمة:

سعى الكاتب موسى ولد إبنو من خلال استناده على فقهه لواقعه المحلي (مرجعيته العربية الإسلامية والصحراوية) والعالمي (مرجعيته الغربية) وكذا توظيفه لعناصر الدين والفلسفة والتراث في رواية الخيال العلمي، ورغبة في تقريب البعد بين حاضرنا ومستقبلنا في ظل سيطرة التقنية والعلم إلى بلورة رؤية وجودية ذات معاني إنسانية رحبة، قدم فيها صورة للحياة على امتداد الزمن تمثلت معالمها في الآتي:

1-يشكل التاريخ مجالا للوعي بدورات الحضارة وأسباب التمكين لأمم وسقوط أخرى.

2-يعد المكان بأبعاده الواقعية والمتخيلة عنصرا مهما لتمثيل الوجود الإنساني.

3-تمثل الحرية والعدل وغيرها قيما فكرية ووجدانية مهمة للذات الإنسانية يتحقق في توفرها وجودا نافعا متجددا على المستوى الفردي والحضاري.

4-إن الطبيعة البشرية تدفع الإنسان بصفة دائمة للتطلع إلى المستقبل وخباياه وأيضا إلى التساؤل عن مكانته ومصيره ونشاطه في هذا الكون الرحب، رغبة في التجديد والتمكن.

5-صورت لنا رواية الخيال العلمي للكاتب الخطر المحدق بالمجتمع البشري في المستقبل جراء تغول التقانة وتحكمها في نظام الطبيعة والإنسان.

6-بين لنا الكاتب أن الفلسفة المادية هي الإطار الفكري الذي يسعى إلى تغيير الفطرة الإنسانية للبشر، وتكمن خطورة ذلك في القضاء على إنسانية الإنسان وبالتالي جعله لا يختلف عن باقي الكائنات في الطبيعة.

7-المرجعية الإسلامية مثلت عنصرا مهما استند عليه الكاتب في بناء معالم رؤيته الوجودية خاصة ما تعلق بجهالة الإنسان وفتن آخر الزمان.

8-إن الغياب الكامل للحرية أو وجودها بدون حدود يجعل من الإنسان عبدا في الأولى وطاغوتا في الثانية وهذا التطرف الذي صورته المدونة يرمي به الكاتب إلى ضرورة الاعتدال والوسطية وهو المبدأ الذي تتبناه الرؤية الوجودية الإسلامية من خلال جعل الإنسان مخير ومسير.

9-يشكل البعد الإنساني وفطرة البشر قيما يراهن الكاتب بانتصارها على الآلة في المستقبل.

قائمة المصادروالمراجع:

-القرآن الكريم

الكتب:

-أحمد أبو سليمان عبد الحميد: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية/ المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، دار السلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (د.م)،1981.

-إبراهيم زكريا: مشكلة الإنسان، (د.ط)، مكتبة مصر، مصر، (د.ت)

- بن صفية عبد الله: دروس في مقياس السرديات العربية والمعاصرة، مستوى السنة الثالثة ليسانس-دراسات أدبية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2017-2018.

- بيجوفيتش علي عزت: الإسلام بين الشرق والغرب، تر: محمد يوسف عدس، تق: عبد الوهاب المسيري، ط18، دار الشروق، القاهرة، 2009.

-سارتر جان بول: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الآداب، بيروت، 1966.

-شيا محمد شفيق: في الأدب الفلسفي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،2009.

- عامر عبد الله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، تق: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1997.

-كاظم نادر: تمثيلات الآخر/ صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، البحرين، 2004.

-ماكوري جون: الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مرا، فؤاد زكريا، (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982.

-مصباح اليزدي محمد تقي الدين: دروس في العقيدة الإسلامية، ج1، ط1، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، طهران،1988.

-المسيري عبد الوهاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2007.

-المسيري عبد الوهاب: رحابة الإنسانية والإيمان/دراسة في أعمال مفكرين علمانيين وإسلاميين من الشرق والغرب، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2012.

-نجيب محمود زكي: قصة عقل، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983.

-نجيب محمود زكي: تجديد الفكر العربي، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1993.
-ولد إبنو موسى: الحب المستحيل(رواية)، ط1، دار الآداب، بيروت،1999.
- ولد إبنو موسى: مدينة الرياح (الرواية)، ط1، ديوان للنشر والتوزيع، نواقشوط،1996.

المجلات:

-الأحمر فيصل: نوافذ، مدخل إلى الخيال العلمي التيمات الخمس، مجلة الثقافة، ع2، مارس 2004.
-بودقزدام عمران: الرؤية التوحيدية الحضارية/ أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية وقيمها الضابطة، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع7، 2014.
-بوسيس وسيلة: رؤية المستقبل في الرواية المغاربية وأبعادها الفلسفية، مجلة الخطاب، ع6،1يناير 2010.
-عواطف عبد الرحمن: الدراسات المستقبلية/ الإشكاليات والآفاق، مجلة عالم الفكر، ع4، يناير1988.

مو اقع الإنترنت:

-موسى ولد إبنو: التراث والخيال العلمي/ قراءة للمؤلف في نصي مدينة الرياح والحب المستحيل، الرأي المستنير، 2016//12، تاريخ الاطلاع:2023/09/20، رابط المقال: http://arayalmostenir.com

الهوامش:

1-عبد الله بن صفية: دروس في مقياس/ السرديات العربية والمعاصرة، مستوى السنة الثالثة ليسانس-دراسات أدبية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2017-2018، ص29.

[2]-محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة الإسلامية، ج1، ط1، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، طهران،1988، ص21.

[3]-توماس آرفلين: الوجودية/ مقدمة قصيرة جدا، تر: مروة عبد السلام، مرا:محمد فتحي خضر، ط1، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013، ص10.

[4]-زكريا إبراهيم: مشكلة الإنسان، (د.ط)، مكتبة مصر،(د.ت)، القاهرة،ص10.

[5]-جون ماكوري: الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مرا، فؤاد زكريا، (سلسلة عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص ص10،11.

[6]- محمد شفيق شيا: في الأدب الفلسفي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،2009، ص227.

[7]- جان بول سارتر: الوجود والعدم، تر: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار الآداب، بيروت، 1966، ص ص81،82.

[8]-عامر عبد الله فالح: معجم ألفاظ العقيدة، تق: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1997، ص103.

[9]-بودقزدام عمران: الرؤية التوحيدية الحضارية/ أرضيتها الفكرية وعناصرها المنهجية وقيمها الضابطة، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع7، 2014، ص262.

[10]-زكي نجيب محمود: قصة عقل،ط1، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص183.

[11]-زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، ط9، دار الشروق، القاهرة، 1993، ص276.

[12]-عبد الحميد أحمد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية/ المنطلق الأساس للإصلاح الإنساني، دار السلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (د.م)،1981، ص120-129.

[13] موسى ولد ابنو: مدينة الرياح (الرواية)، ط1، ديوان للنشر والتوزيع، نواقشوط-موريتانيا،1996، ص18.

[14]-المرجع نفسه: ص20،21.

[15] المرجع نفسه:ص 22،39، 46.

[16]-نادر كاظم: تمثيلات الآخر/صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، البحرين، 2004، ص90.

[17]- المرجع نفسه: ص91.

[18]-موسى ولد ابنو: مدينة الرياح، ص25.

[19]-موسى ولد ابنو: التراث والخيال العلمي: قراءة للمؤلف في نصي مدينة الرياح والحب المستحيل، الرأي المستنير، 2016/11/12، تاريخ الاطلاع:2023/09/20، رابط المقال: http://arayalmostenir.com.

[20]-علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، تر: محمد يوسف عدس، تق: عبد الوهاب المسيري، ط18، دار الشروق، القاهرة، 2009، ص19.

[21]- موسى ولد ابنو: مدينة الرياح، ص62.

[22]- المرجع نفسه: ص77.

[23]-المرجع نفسه: ص48،79.

[24]- موسى ولد ابنو: التراث والخيال العلمي/قراءة للمؤلف في نصي مدينة الرياح والحب المستحيل، مرجع سابق

[25]- موسى ولد ابنو: مدينة الرياح، ص86.

[26]- المرجع نفسه: ص96.

[27]- المرجع نفسه: ص134،144.

[28]- المرجع نفسه: ص131،132.

[29]-عواطف عبد الرحمن: الدراسات المستقبلية/ الإشكاليات والآفاق، مجلة عالم الفكر، ع4، يناير1988، ص8.

[30]-فيصل الأحمر: نوافذ، مدخل إلى الخيال العلمي التيمات الخمس، مجلة الثقافة، ع2، مارس 2004، ص59.

[31]- موسى ولد ابنو: مدينة الرياح، ص149.

[32]- المرجع نفسه: ص153

[33]- المرجع نفسه: ص154،155.

[34]-المرجع نفسه:ص150.

[35]-المرجع نفسه: ص184،184.

[36]- المرجع نفسه:ص189.

[37]- وسيلة بوسيس: رؤية المستقبل في الرواية المغاربية وأبعادها الفلسفية، مجلة الخطاب، ع6، 1يناير2010.ص104.

[38]-موسى ولد ابنو: الحب المستحيل(رواية)، ط1، دار الآداب، بيروت،1999، ص9.

[39]-المرجع نفسه: ص9.

[40]-المرجع نفسه:ص10.

[41]-المرجع نفسه: ص11

[42]-المرجع نفسه: ص11

[43]-عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2007، ص11.

[44]- علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ص248.

[45]-المرجع نفسه: ص248.

[46]-المرجع نفسه: ص249.

[47]-موسى ولد ابنو: الحب المستحيل، ص17.

[48]-المرجع نفسه: ص45.

[49]-المرجع نفسه: ص51.

[50]- موسى ولد ابنو: التراث والخيال العلمي، مرجع سابق.

[51]-عبد الوهاب المسيري: رحابة الإنسانية والإيمان: دراسة في أعمال مفكرين علمانيين وإسلاميين من الشرق والغرب، ط1، دار الشروق، القاهرة-مصر، 2012، ص10.

[52]- موسى ولد ابنو: الحب المستحيل، ص52.

[53]-المرجع نفسه: ص 65.

[54]-المرجع نفسه: ص72.

[55]-المرجع نفسه: ص82

[56]-عبد الوهاب المسيري: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، مرجع سابق، ص 12.